إستراتيجية الترميز في العمارة

مقدمـــــــة:

يمثل الرمز وسيلة للاتصال بين الانسان وبيئته،فالانسان هو المرسل والبيئة هي المستقبل،ويكون ذلك بتوفير نظام مشترك معتمد بين مجموعة من البشر لجعل هذه الرسالة مفهومة. وان العلاقة بين شكل الرمز ومعناه تعطي الرمز شكلا ثابتا ومعنى متغيرا تبعا لكيفية استعماله ومكان وجوده.

مفهوم الرمز(Symbol) لغوياً:

- **رمز اليه- رمزاً: اومأ واشار بالشفتين أو العينين أو الحاجبين. وفي القران الكريم قال تعالى (آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزاً).**
- **هنالك بعض التعاريف لمفهوم الرمز لغويا وكما وردت في المعاجم العربية والاجنبية،فقد عرف الرازي الرمز على انه الاشارة او الايماءة بالشفتين والحاجب.**
- **اما (البعلبكي) اعتبر المنطق الرمزي تطويرا حديثا للمنطق الصوري، قائما على تمثيل المبادئ المنطقية بالرمز.**
- **اما المعاجم الاجنبية فقد عرفت الرمز على انه شيء ما يمثل شيئا" اخر وخصوصا شيء يمثل شيئا" مجرداً، وذلك بسبب وجود التشابه في النوعيات او الخصائص. ومنها ما يعد الرمز على انه يطلق على الشيء المرئي، ويدرك من قبل الناظر من خلال استحضار صورة مشابهه له بالعقل عن طريق ارتباطات معينة.**
- **ان كلمة الرمز مأخوذة من Symbolفي اللغة الإنكليزية وهي بمعنى يستدل او يستنتج واصلها في اليونانية اليه بعد اتفاق وتقبله جميع الاطراف باعتباره يحقق مقصدا" معينا.**
- واصلها في اليونانية Sumbolm وهو شيء يهتدى اليه **بعد اتفاق** وتقبله جميع الاطراف باعتباره يحقق مقصدا" معينا". وقيل ان اصل الرمز الصوت **الخفي**، الذي لا يكاد يفهم
- وحددت المعاجم الفرنسية الرمز بقولها " هو شكل او رسم او اشارة او شيء يحمل معنى".

ما هو مفهوم الرمزية فى العمارة؟ وهل من الممكن أن يكون للعمارة معنى دون أن تُمثّل؟ -

العمارة لغة تخاطبية بين الذات المولدة للفعل المعماري وبين الآخر...تتصف لغة التخاطب بإمكانية القراءة وبلورة الفكرة أو القصد..لذا فإن علاقة تفاعل الأشكال "الترابط ،التداخل،التجاور، الحذف ،الإضافة" تعطي تعبيرا عن فكرة أو سبب الشكل المعماري ..فإن شكلية العمارة لا تقتصر على خصائص الشكل فحسب من حيث قيم التوازن والتناسق والتناظر...بل يتعداه إلى طبيعة القيم التي يترجمها الشكل إلى المتلقي لتحقيق نوع من التخاطب ..ويُرى جمال الشكل المعماري بمدى فهمه ومدى فسحة التأويل التي يخلقها المتلقي في علاقته معه.

حيث أن الترميز هو أحد الإستراتيجيات فى اللغة المعمارية لتمثيل الأفكار والإنفعالات التى تمثل فهم الانسان للطبيعة والذات بموجب قوانين خاصة واتفاقات معينة، متناولة فى طياتها البعد الابداعى فى التاويل والفهم ..

والرمزية نمط يُعَبّر عنه من خلال معاني مكانية ،زمانية ،فيزيائية أو مادية ...والذي يعتمد على الإدراك ومشاركة أغلب الحواس.

وطبيعة التعبير الرمز في العمارة عن الفكرة تختلف حسب طبيعة الثقافة والموقع والزمن والاتجاه سواء الوطني أو الجغرافي أو الديني " كالعمارة الإسلامية" والفكرية " عمارة النهضة " ...وهي تعبر عن حالة معنوية تتعلق بالمجتمع أو بما في داخل المعماري من فكر تصوري...

تقول "سوزان لانجر" فيلسوفة أمريكية " إن واحدة من الأغراض الرئيسية للرموز هي لمساعدة المرء في التفكير ولجعل العلاقات صريحة وواضحة فمن خلال التذكر المرئي يتجنب المرء تذكر الخصائص بصورة مشوشة..

فالرمزية تكون في مستوين أحدهما فكري يعتمد على قراءة الرمز من قِبَل المصمم "كيفية تحقيق الفرد لهويته في قرارة نفسه" والآخر شكلي وذلك باتخاذ شكل مادي يخلق رمز تواصلي يحقق هوية الفرد والمجتمع ..

والرموز المعمارية تكون إما ظاهرة برموز مجردة أو بتجسيدات مادية .. وتعتمد رمزية المبنى على مدى إدراك عمارته وفهمها..

وتتصف العمارة الرمزية بما يلي:

- يرتبط الرمز بالعمق التاريخي لبنية المجتمع ويتفاعلان معا بصورة إيجابية.
- يعبِّر الرمز عن حدث ما أو فعلٍ معين يرتبط بالصورة الذاكرية للمجتمع.
- لا يرتبط الرمز والمرموز بعلاقةً سببية محددة وإنما علاقة معللة إجتماعيا.
- يرتبط الرمز بالفكر الذهني للمتلقي على مستوى الفرد أو المجتمع الذي يحمل المعنى في نفسه.
- لا يتطابق الرمز والمرموز من حيث الهيئة أو الشكل، وإنما التطابق من حيث المعنى المحمول في الرمز باتجاه المرموز.
- عدم التلازم بالحضور بين الرمز والمرموز، وإنما يرتبطان بفكرة الحضور للرمز وتأويل المعنى إلى ما يحمله ذهن المتلقي.

لمحة تاريخية :

ظهرت الرمزية في فرنسا في القرن ال ١٩ كرد فعل للمدرسة الواقعية وهدفت إلى التعبير عن سر الوجود عبر الرمز..
فسعوا في المقام الأول إلى .Baudelaireوهي مدرسة فنّيّة وأدبيّة في الشعر وسائر الفنون...وقد تأثر الرمزيون أكثر ما تأثروا بأعمال بودلير إعطاء القارئ انطباعاً عن وعيهم الباطن، معتمدين في ذلك على الموسيقى والصُّور الشعرية التي تبرز «أحلام الشاعر الداخلية». يُعتبر ألبير سامان من أبرز الأدباء المؤسسين لحركة الرمزية ، كانت الرمزية مقتصرة على الزخارف والنسب الجميلة دون اعتماد أسلوب الغموض والتضمين في التشكيل المعماري كما في العمارة الكلاسيكية "مثل: العمارة الإغريقية والطرز الخاصة بها وغيرها من العمارات الكلاسيكية والكلاسيكية الجديدة"
كما ظهرت العمارة الرمزية في مباني خاصة ذات وظيفة مميزة مثل: العمارة الإسلامية التي اتخذت من المئذنة والقبة رمزاً للمساجد .. والعمارة المسيحية في كنائسها التي كان الشكل العام لها وتوزيع مساقطها يعطي طابعاً خاصاً بها يرمز إلى أهميتها الدينية ويشعر الزائر بالرهبة والقدسية..و كان تصميم المباني الدفاعية بطريقة ترمز إلى القوة والمتانة مثل تصميم القلاع والحصون الدفاعية..

- في النصف الأول من القرن التاسع عشر ركزت تحليلات النقد المعماري حصرياً على أهمية التمثيل والزخرفة في المبنى على اعتبار أنها أهم عنصر فيه...وقام المؤرخون بفهرسة رموز العناصر الزخرفية في المباني القديمة لتوثيق التطور الرمزي للزخارف عبر التاريخ مما ساهم بحدوث نقلة نوعية في عمارة الحداثة وبعد الحرب العالمية الثانية خضعت عمارة الحداثة) (١٨٩٠-١٩٤٥لرغبات الصناعة والكفاءة الوظيفية والتقنيات الحديثة مما خلق بنية جديدة تعتمد في أساسها على السياق الحضري، وظهرت حركات جديدة تأكد إنفصالها عن التقاليد الماضية لذا نلاحظ أن هذه الفترة تمثلت بخصوصية العلاقة بين الشكل والوظيفة وتبسيط الأشكال ونبذ الزخرفة حيث رمزت إلى البساطة والنقاء.

(louis Sullivan- Groupius Walter - Mies van de Rohe - Le Corbusier)

حيث تنقسم العمارة ضمن النظام الترميزي إلى ثلاث مستويات
Meanings Semantic: المعاني الدلالية
Syntactic Meaningالمعاني التركيبية
Pragmatic technicalالواقع التقني
التكنولوجيا المتقدمة " أو تسمى بالحداثة المتأخرة استجابة لأحدث التطورات التكنولوجية حيث أعطت حرية (Hight-Tech) ثم ظهرت عمارة معمارية أكبر بالتعبير عن الأفكار وسمحت للمعماري بالتحليق في خياله وتنفيذ ما يريد ليوصل فكرته ورؤيته المعمارية من خلال الرموز التي يتضمنها المبنى .و ترتبط أشكال العمارة هنا بتصورات جسم الإنسان ومكونات الطبيعة. واستخدام أشكال نحتية
Norman Foster - Santiago Calatrava- Kenzo Tange- Richard Rogersمن رواد هذه العمارة
من أهم أنواع العمارة التي تميزت بجانب الرمزية هي عمارة ما بعد الحداثة وخصوصاً العمارة التفكيكية عام "١٩٧١"م التي دفعت بعمارة - الحداثة بهدف التخلص من الملل فهي حالة إبداعية تخلق آفاق جديدة من الأشكال المستحدثة، تعرض ما هو غريب بأسلوب التشويه والتجزئة التي اتبعت منهجية التصادم اللفظي بدل اللباقة في الإقناع وهي عمارة مليئة بالمفاجآت الغير متوقعة وانحصرت القيمة الجمالية للمبنى بما تبديه العلاقات الشكلية للحجوم والكتل والفراغات كما تبرزها المعطيات الإنشائية.
حيث تظهر فيه الرمزية بقوة تعبير الخطوط والأشكال الصريحة وحتى مواد الإكساء المستخدمة كالمعدن والزجاج واللدائن وإبراز حالة التناقض القصوى مع الطبيعة والتجريدية من خلال استحداث أشكال نقية واستخدام تشكيلات عضوية ونحتية. وظهر توجه آخر وظف وسائل بصرية في التكوين بهدف الوصول إلى حالة اللانظام من خلال عملية الخداع البصري والوصول لأشكال مبهمة تعبيراً عن فكر المصمم والتواصل مع المتلقي من خلال عدة تأويلات.
من رواد هذه العمارة:
Zaha Hadid –Frank Gehry- Peter Eisemnan – Rem Koolhass

حالات دراسية عن العمارة الرمزية في المتاحف والصروح المعمارية بعد الكوارث:

Jewish Museum Berlin
Daniel Libeskind
1999

المتحف اليهودي في (برلين)

ينعكس ذلك في المتحف اليهودي في (برلين) حيث تلعب الاعضاء الرمزية دورا رمزيا وذلك بزيادة الموروث الرمزي في المشروع بشكل عام.ولكن اثبت ذلك بشكل خاص في الواجهات والمخططات للمبنى المحطم. اجزاء كونكريتية تمر بشكل مشتت فوق الدرج المؤدي الى قاعة المعرض وهو يرمز لانعدام الارض والتجارب التي مر بها اليهود في المانيا.
يقترح المادة المقنعة وحجم الهيكل دورا مهما للرمزية وهذا الدور ساهم في تحسين الفكرة المعمارية كون ان هذا الهيكل المشؤوم يحمل معنى رمزي

يعكس الوجود اليهودي في برلين في الماضي والحاضر والمستقبل وكان التحدي في هذا المشروع كان لإثبات النضال اليهودي خلال التاريخ حيث اعتمد دانييل على ذكر ثلاث مسائل وهي الاستمرارية والنفي والموت .تصميم المبنى متأثر بعمارة ما بعد الحداثة
و هو يعرض التاريخ السياسي والاجتماعي والثقافي في ألمانيا من القرن الرابع إلى الوقت الحاضر نوافذ المبنى تتميز بأشكالها الزاوية وهي تمثل خريطة لندن قبل الحرب وسطح المبنى مغطى بالمعدن (ألواح الزنك) لايوجد باب للدخول إلى المتحف وإنما الدخول من خلال نفق من المبنى المجاور (المحكمة العليا لبرلين سابقا) وإن التضاد بين المبنيين يوضح الفرق الشاسع في التفكير بين النازيين واليهود
داخل المبنى يوجد ما يسمى بمحور المنفي وهو يمثل ترحيل اليهود الذي بدأ عام ١٩٤٠ والذي يقود إلى حديقة في الخارج حيث يظهر ٤٩ عمود (٧ * ٧) مزروع في أعلاها نباتات وشجيرات وهي مائلة عند القاعدة بحوالي ١٠ درجات عن مستوى المدخل لإعطاء شعور بعدم التوازن و يدل الرقم ٤٨ على سنة ١٩٤٨ سنة نشوء دولة اسرائيل أما العمود ٤٩ فهو يمثل برلين .الدخول إلى الحديقة الحجرية فقط من داخل المتحف ولا يمكن العودة للمتحف من خلال الحديقة وإنما فقط عن طريق المبنى المجاور القديم يحتوي المتحف على محور المحرقة والذي يتقاطع مع محور المنفى أما محور الاستمرارية فهو يقود إلى ساحة العرض لا يوجد نوافذ للمتحف عدا شقوق ضيقة تسمح بمرور الضوء الذي ينير المحوران المنفى والمحرقة واحد من البرجين هو برج المحرقة الذي يمكن الوصول إليه من محور المحرقة وهو فراغ لايحتوي على نوافذ ، بابه مصنوع من مادة ثقيلة والفراغ مضاء بإضاءة خافتة البرج الأخر يسمى برج ذاكرة الفراغ وهو يمثل الفراغ الذي حل بألمانيا بعد رحيل اليهود وهو شاغر من أي شي عدا " الأوراق المتساقطة " وهي أكثر من ١٠٠٠٠ وجه حديدي التي تمثل ضحايا اليهود في الحرب والعنف يحتوي المتحف على معارض أخرى في طابقه الأعلى وهذه المعارض تتعلق بتاريخ اليهود والديانة اليهودية و يمكن الصعود لها من خلال درج ذو درجات منحدرة وهنالك بعض الدرجات تقود إلى الأعلى إلى جدار مصمت حيث لا يوجد طريق للخروج

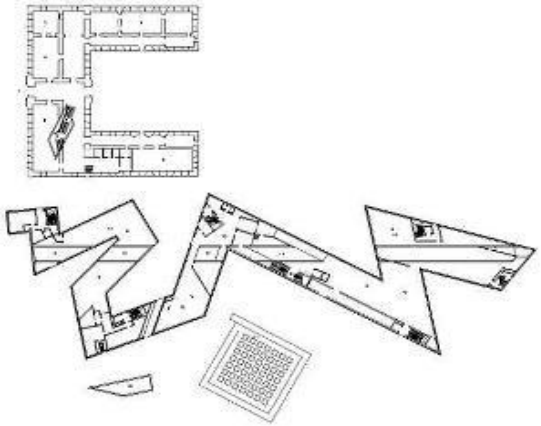

مفهوم الرمز اصطلاحيا :

- وردت تعاريف عديدة لمفهوم الرمز كمصطلح، فيشير الجباخنجي الى أن الرمز عبارة عن تجديد لفكرة تتولد في نفس الفنان، قد ينم عنها الشكل الذي يحتويها.
- ومنهم من يعد الرمز كصورة كما اشار هاوزر الى أن الرمز هو صورة ذلك التمثيل الذي لا يسمي الشيء باسمه
- اما توبلر فيعد الرمز رؤية لما يقبع خارج حدود العالم المرئي.
- ويرى برجسون " ان الرمز اداة عقلية تربط صورة ما باخرى حسب قانون المطابقة وبهذا يصبح الرمز صورة مماثلة لشي اخر عن طريق الحدس والتخمين".
- اما هيغل فيجعل للرمز قيمة استنتاجية بدلا من القيمة التماثلية عند برجسون.
- في حين ذكر بوفيه ان الرمز خلاصة الفكر والجوهر الكامل للتشبيه لان الرمز يفترض فكرة والرمزية معناها افتراض شيء وراء المخصوص أي انها تفترض فكرة عن علاقة الانسان بما وراء الطبيعة او بما نسميه المجهول.
- ويعرف فولين الرمز بانه " فن التعبير عن الافكار والعواطف باعادة خلقها في ذهن المتلقي).
- وتعرفه ريتا عوض "بانه التعبير التمثيلي الذي تستخدم فيه الفاظ ذات طبيعة حسية للدلالة على افكار مجردة، اذ يوجد بين الصورة والفكرة التي تثيرها تلك الصورة ، فالرمز هو نفسه وهو ما يعبر عنه، الاثنان منصهران ولايمكن لأية صورة ان تكون رمزاً لأية فكرة بشكل عشوائي
- اما كانت فاشار الى ان الرمز تمثيل من الخيال يستدعي الكثير من الفكر، وان الفكرة الجمالية رمزا تختلف عن الفكرة العقلية في كونها تختلف عن المفهوم شكلا"، ولو بغير المعنى التقليدي للاشارة، اذ ليس هنالك مفهوم قادر على تفسير المحتوى الكامل للرمز.
- ويعد Goethe الرمز نظاما" لعلاقات معقدة، تمثل القطبية Polarity الخاصية السائدة فيه، بين عالم ملموس فيزياوي وعالم ميتافيزيقي غير ملموس. وعليه فان فهم الرمز كما ذكر دوركهايم يتطلب منا فهم التفاعل ما بين شكله المادي ومدلولاته الاعتبارية الجمعية. ويقترح الجادرجي انه لمعرفة مدى تاثير دلالة اشارة ما (ومنها الشكل المعماري) فما علينا الا الاحتكام الى التعامل الحقيقي للمجتمع مع هذه الاشارة .